سيمياء أسماء أعلام الأشخاص

– الكُنْيَةُ أنموذجا -

د. إبراهيم براهمي
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة 8 ماي 1945 قالمة

- ملخص الدراسة:

تمثل أسماء أعلام الأشخاص إحدى أبرز الظواهر اللغوية المرتبطة بالممارسة اللغوية الحياتية اليومية للإنسان؛ إذ من خلالها يحقق تواصله الناجح وتفاعله الاجتماعي الايجابي، وهي إلى جانب وظيفتها الإشارية المعبرة عن ذات الفرد وهُويته بين المجموع؛ فإنها تمثل إيقونات ورموز لغوية ذات مدلول شخصي واجتماعي؛ يرتسم معها العالم إلى صورة واقع رمزي إشاري لمظاهر الحياة بجوانبها المختلفة؛ وتستحيل معه المعرفة بأبوابه الرئيسة - الأسماء والألقاب والكنى - إلى معرفة إدراكية مكتنزة مميزة تطفح بها الألفاظ الدالة على ذواتنا. وتعد الكنية بابا رئيسا لأسماء أعلام الأشخاص العربية؛ وإشارة لغوية شخصية عُرِف بها الأفراد داخل المجتمع العربي-على الأرجح- دون سواهم من الأمم، وقد قيل (وإنَّما جيءَ بالكُنية لاحترام المُكنَّى بها وإكرامه وتعظيمه كيلا يُصرَّحَ في الخطاب باسمه)؛ فالكنية منظورا إليها سيميائيا علامة لغوية لها وجهان؛ وجه ظاهر هو عبارة عن تركيب إضافي بسيط، ووجه باطن فيه التستر، والإخفاء لمقاصد خطابية لها دلالاتها السيميائية في التواصل والتفاعل في السياق الاجتماعي.

تحاول هذه الدراسة أن تطرح جملة من التساؤلات المتعلقة بالكنية بوصفها إشارة مميزة سواء من الجانب البنوي، أو في بنائها الدلالي، ثم إبراز أبعاد هذه العلامة اللغوية وآثارها في بناء النسق الرمزي التفاعلي بين أفراد المجتمع العربي، وأسباب غيابها في الاستعمال اللغوي الجزائري الحديث.

الكلمات المفتاحية : اسم العلم، العربية، الكنية، السيمياء، الدلالات، العلامة، الاثنوغرافيا، التواصل.

ABSTRACT: the semiotics of proper names represents one of the major linguistic features related to the human daily linguistic practice; it is through it that man can make successful communication and positive social interaction. In addition to its indicative function that shows the individual him/herself and his/her entity among the others, it represents linguistic icons and symbols with a personal and social significance, with which the world takes shape to an image of a symbolic reality that is indicative to different aspects of life, and the knowledge of its main doors – names, surnames and nicknames- becomes a specific cognitive knowledge overflowed by words that indicate our entities.

The nickname is considered as a main door to Arabic proper names, and a personal linguistic indication that individuals were known with in the Arab society – probably- specifically. It was said "the nickname is used as a kind of respect and glorification to the nicknamed so his/her name is not declared in speech". Semantically speaking, the nickname is a two-sided linguistic sign: an apparent side that is a simple additional composition, and a hidden side that includes a cover-up and concealment of rhetorical purposes that have semantic indications in communication and interaction in the social context.

This study tries to put a number of questions concerning the nickname as a distinctive sign either from a structural side, or from its semantic structure, then, to highlight the dimensions of this

linguistic sign and its impact on building interactive symbolic pattern among the members of the Arab community, and the reasons behind its absence in the Algerian linguistic usage.

Key words: proper name, nickname, semiotics, semantics, sign, ethnography, communication.

1 - **مقدمة**: تمثل أسماء الأعلام الأنموذج العلامي المميز الذي يمكن أن يكون أوضح عناصر اللغة وأقربها إلى الدراسة والتحليل من المنظور السيميائي أو علم العلامات، فهذه الصيغ الإفرادية تمثل عنصرا أساسيا في التواصل اللغوي في السياق التخاطبي الاجتماعي؛ ضمن نسق العلامات اللغوية والرموز والدلالات المتداولة في الوسط المجتمعي، فلا يمكن أن نتصور تواصلا لغويا بين متخاطبين في التفاعل الاجتماعي يمكن أن يحدث دون هذه الإشاريات الشخصية والاجتماعية؛ التي تؤشر على ذواتنا بين الناس؛ وهو ما أعطى لها الأهمية البالغة في الدرس اللغوي وغيره من الحقول المعرفية منذ القدم، ومع محاولة تحليل هذه العلامة اللغوية - اسم العلم - إلى بنياتها الجزئية المركبة فإننا لا نعدم أن تقدم لنا دلالات سيميائية قيمة لا بأس من الوقوف عندها:

أ - **الاسم**: مسألة لغوية أثير حولها نقاش معرفي ثمين عند اللغويين وسواهم؛ أثمر آراء أعطت لها منزلتها في تصدر أقسام الكلام في العربية؛ ضمن ملفوظات التواصل والتفاعل الاجتماعي؛ كانت خلاصة هذا المحاورة المعرفية ما أجمله لنا أبو البركات الأنباري (577هـ) في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف، يعنينا منها النظر إلى البعد السيميائي للاسم بوصفه؛ إشارة لغوية لها مكانتها في التفاعل؛ (إذ ذهب الكوفيُّون إلى أنّ الاسمَ مشتق مِنَ **الوسمِ** وهو **العلامةُ**، وذهبَ البصريون إلى أنه مشتق من **السِّمُوِّ** وهو **العلو**؛ أمّا الكوفيُّونَ فاحتجُّوا بأن قالُوا : إنّما قلنا إنَّه مشتقٌ **مِنَ الوسمِ**؛ لأنَّ الوسم في اللُّغةِ هو العلامةُ، **والاسمُ وَسْمٌ على المسمَّى**، وعلامةٌ له يُعْرَفُ بهِ ألا تَرى أنّك إذا قلتَ: زَيْدٌ أو عَمْرُو دَلّ على المسمّى، فصارَ كالوَسْمِ عليه ؟. فلهذا قلنا إنّه مشتقٌ مِنَ الوسمِ؛ ولذلك قال أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب: **الاسمُ سِمَةٌ تُوضَعُ على الشيءِ يُعْرَفُ** بها. أما البصريُّونَ فاحتجُّوا بأنْ قَالُوا: إنما قُلنا إنَّه مشتقٌ مِنَ **السِّمُوِّ** لأن السموَّ في اللغةِ **هو العلوّ**، يقال سما يَسْمُو سموًّا، إذا علا، ومنه سُمِّيتِ السماءُ سماءً لعلوِّها، **والاسمُ يعلو على المسمّى ويدل على ما تحته من المعنى**، ولذلك قال أبو العباس محمد بن يزيد بن المبرد: **الاسم ما دل على مسمى تحته**، فلما كان الاسم يُخْبَرُ به، وَيُخْبَرُ عنه والفعل ما يُخْبَرُ به، ولا يُخْبَرُ عنه والحرف ما لا يُخْبَرُ به، ولا يُخْبَرُ عنه، فقد سما الاسم على الفعل والحرف، أي علا فدل على أنه من السمو)([1]).

هذا القول في تخريج أصل الاسم واشتقاقه اللغوي يعطي للاسم بعدين دلالين مهمين:

- البعد الأول: أن الاسم باصطلاح سيميائي معاصر علامة وأيقونة، تصور، وتمثل، وتختصر، وتوجز، وتدل وتؤشر على حاملها،،،.

- <u>البعد الثاني</u>: أن الاسم من السمو والعلو والرفعة؛ أي يرفع من شأن حامله ومنزلته أو على النقيض يهون من قيمته ورتبته بين الناس وذلك بُعد لساني سيميولوجي تداولي مهم.

([1]) - الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، تح: جودة مبروك، مكتبة الخانجي، ط1، 2002، القاهرة، مصر، ص04

ب - **العلم**: يطلق العلم على الجبل؛ قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ سورة الشورى: الآية (32)، وقوله ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾سورة الرحمن الآية (24)، وفي المثل العربي {أَشهرُ مِن نَارٍ عَلى عَلَمٍ}، ومن النحاة المعاصرين من ذهب إلى أنه (من الظاهر أنه نقل إلى المصطلح النحوي من هذا المعنى الأخير لأن العلم علامة على مسماه يميز به عن غيره)([1]). وهذا ما ألمح إليه النحاة القدامى؛ ومن ذلك ابن يعيش(ت643هـ) بقوله (وإنمّا أُتى بالأَعلامِ للاختصارِ وتركِ التعاويل بتعداد الصفات ألا ترى أنه لو لا العَلم لاحتجت إذا أردت الإخبار عن واحد من الرجال بعينه أن تعدد صفاته حتى يعرفه المخاطبُ فأَغنَى العَلمُ عن ذلك أجمع، والعَلمُ مأخوذ من علم الأمير أو علم الثوب كأنّه علامة عليه يعرف به،،،)([2]) .

يقدم لنا ابن يعيش بهذا القول قدرا من المعطيات السيميولوجيا التواصلية المهمة- باصطلاحنا المعاصر- حول العَلم باعتباره تمثيل إشاري رمزي لذات شخصية اجتماعية لها جانبها الوصفي، وبعدها المادي في التخاطب والإخبار؛ فالأسماء والألقاب والكنى بذلك هي أوضح العناصر الإشارية الدالة على المتكلم/المخاطب في سياقه التفاعلي.

إن الذي يؤول إليه كلامنا أن اسم العلم علامة لغوية مهمة تدخل ضمن شبكة انساق العلامات التي تعد رمزا أساسيا في التبادل الاجتماعي، إلى الحد الذي يمكن أن نتساءل مع: هل هذه العلامات (أسماء الأعلام) هي التي تسمح لنا بالعيش داخل المجتمع؟ وهل من الممكن لنا ذكر أفراد من المجتمع بحمولاتهم الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية مع الاستغناء عن هذه الإشاريات اللغوية؟ أليس المجتمع الذي نحيا به سوى نسقا واسعا ومركبا من هذه الإشاريات ؟ وما على الفرد إلا تطوير وبلورة سننه اللغوي في تأويل المعطيات التي تمده بها هذه العلامات.

هذه الأسئلة التي طرحها امبرتو ايكو عن العلامة اللغوية بشكل عام([3]) وخصصتها هنا عن اسم العلم بوصفها علامة يوسم بها الأشخاص، إنما القصد هو بيان قيمة اسم العلم في التفاعل الرمزي عند المتخاطبين.

وسأقصر حديثي في هذه الدراسة عن باب واحد لاسم العلم؛ وهو الكنية. فما الذي تعنيه الكنية في اللغة والاصطلاح؟، وما أصل استعمال الكنى ؟، وما هي مكانة الكنية في المجتمع العربي؟، أي رمزية للكنية في الوسط الاجتماعي؟ ثم ما سؤال السيمياء في الكنية؟ وما إلى ذلك من الأسئلة التي تستحيل معها الكنية إلى إشارة لغوية مميزة في التواصل والتفاعل الاجتماعي.

2 - **مفهوم الكُنْيَة: أ - في اللغة**: جاء في الصحاح: [كنى] الكِنَايةُ: أَنْ تتكلم بشئ وتريد به غيره، والكُنْيَةُ بالضم والكسر: واحدة الكُنَى، واكْتَنَى فلان بكذا، وفلان يُكْنَى بأبي عبد الله، وكَنَّيْتُهُ أبا زيد وبأبي زيدٍ تَكْنِيَةً، وهو كَنِيُّهُ كما تقول: سَمِيُّهُ، وكُنَى الرؤيا، هي الأمثال التي يضربها مَلَكُ الرُّؤيا، يُكْنَى بها عن أعيانِ الأمورِ.([4])

([1]) - معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، العاتك لصناعة الكتاب، د.ط.ت، القاهرة، مصر، ج01، ص 65

([2]) - شرح المفصل ، ابن يعيش ، دار الطباعة المنيرية ، د.ت.ط ، القاهرة ، مصر ، ص 27

([3]) - العلامة تحليل المفهوم وتاريخه. أمبرتو إيكو، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط02، 2010، الدار البيضاء، المغرب ص33

([1]) - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تح : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط04، 1990، بيروت، لبنان، مج 6، ص 477

- وفي لسان العرب: كَنَى عن الأَمر بغيره يَكني كِناية يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه نحو الرفث والغائط ونحوه، وقد تَكَنَّى وتَحَجَّى أي تستر من كَنَى عنه إذا وَرَّى أو من الكُنْية كأنه ذكر كنْيته عند الحرب ليُعرف، وفي الحديث إِنَّ للرُّؤيا كُنًى ولها أَسماء فكَنُّوها بكُناها واعتبروها بأَسمائها الكُنى جمع كُنْية من قولك كَنَيت عن الأَمر وكَنَوْت عنه إِذا ورَّيت عنه بغيره أَراد مَثِّلوا لها أَمثالاً إِذا عبَّرْتموها وهي التي يَضربها مَلَك الرؤيا للرجل في منامِهِ كقولهم في تعبير النّخل إِنها رجال ذوو أَحساب من العرب. ([1])

- وفي المعجم الوسيط: (أَكَنَّ) الشَّيءَ كنّه وفي التنزيل العزيز﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ الآية 74 سورة النمل، (المكنون) المستور البعيد عن الأعين، والمخفي لم تصل إليه الأيدي وفي التنزيل العزيز﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴾ الآية 24 سورة الطور، (الكُنْيَةُ) ما يجعل علماً على الشَّخصِ غير الاسمِ واللقبِ، نحو: أَبو الحسنِ وأمُّ الخيرِ وتكون مُصَدَّرة بلفظ أَبٍ أَو ابن أَو بنت أَو أَخٍ أَو أُخت أو عمٍّ أو عمّة أَو خال أو خالة، وتستعمل مع الاسم واللقب أو بدونهما. (ج) (كُنَى) ([2]).

ب - **الكنية في الاصطلاح**: الكنية على غرار اسمي العلم؛ الاسم واللقب من المباحث اللغوية التي ذكرت في وقت مبكر في الدراسات اللغوية العربية؛ وهذا يبرز إدراكهم لمكانة هذا العنصر اللغوي في الاستعمال اللغوي. فمن اللغويين القدامى نجد الرضي الاستراباذي (686 ه) قد عرفها بقوله: الكنية هي: الأب، أو الأم، أو الابن، أو البنت مضافات، نحو: أبو عمرو، وأم كلثوم، وابن آوى، وبنت وردان ؛ فالكنية عنده: ما كان فيه أحد أدوات الكناية من: أب، وأم، وقيل: وابن، وبنت أيضا([3]).

وأما الشريف الجرجاني فقد عرف الكنية بقوله: ما صدّر بأبٍ وأمٍّ وابنٍ وبنت ([4]).

وعند المعاصرين نجد عباس حسن يعرفها بقوله: وَأَما الكُنْيَةُ فَهِي عَلَمٌ مُرَكب تَرْكِيبًا إِضَافِيًّا، بِشَرْطِ أَن يَكُونَ صَدْرُهُ (وَهُوَ المضَاف) كَلِمَةٌ مِنَ الكَلِمَاتِ الآتِيَة: (أَبٌ ، أُمٌّ)، (ابنٌ ، بِنْتٌ) (أَخٌ، أُخْتٌ) (عَمٌّ ، عَمَةٌ) (خَالٌ، خَالَةٌ)، مِثل: الأَعلام الآتِيَة: (أَبُو بَكْر، أَبُو الوَلِيد) (أُمّ كَلْثُوم، أُمُّ هَانِئ)، (ابنُ مَرْيم، بِنتُ الصِدِيق) (أَخُو قَيْس، أُخْتُ الأَنْصَار)، وَهَكَذَا... وَلَيْسَ مِنْهُ : أَبٌ لمحمَد، وَأُمُ لهند، وَغَيْرِهمَا مِنْ كُلِ مَا لا إِضَافَةٍ فِيهِ عَلَى الوَجْهِ السَابِقِ ([5]).

إن تفحص المادة اللغوية السابقة وتحديداتها المعجمية يمدنا بجملة من الاستنتاجات :

- أن الكنية تعني الإخفاء والتستر؛ وأبعد ما تكون عن الوضوح والسفور

- التكنية ترادف التسمية؛ مما يعني أن الكنية قد تنوب عن الاسم في الاستعمال.

- إن الكنية تماثل الأمثال التي يضربها مَلَكُ الرُّؤيا مما يُكْنَى بها عن أعيانِ الأمورِ، وهذا المعنى يتبع الأول في أن الكنية علامة لغوية مستعملها هو الذي يمنحها دلالتها في الاستعمال.

([2]) - لسان العرب، ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، ط1 ، د.ت. ط، بيروت، لبنان، مج 15، ص233

([3]) - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط 04، 2004، القاهرة، مصر، ص801 ، 802

([1]) - شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تح: حسن الحفظي، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط01، 1993، الرياض، السعودية، مج، 02، ص 139

([2]) - التعريفات، الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان ناشرون، د.ط، 1985، بيروت، لبنان. ص 197

([3]) - النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط07، القاهرة، مصر، ج 01، ص308

- تختص الكنية بالإخفاء والتستر في المناهي اللفظية .
- الاسم الذي يذكر في الحروب وغيرها ليعرف بها صاحبها.
- المعنى المستور والباطن المخفي، ويقابله الظاهر البين الواضح
- تتقاطع الكنية مع الكناية في دلالتهما، وهو تقاطع في وظيفة البيان والإبلاغ في سياق التفاعل الاجتماعي.
- أن الكنية في جانبها البنوي تركيب إضافي؛ المضاف أحد هذه الكلمات: الأب، أو الأم، أو الابن، أو البنت، وقد توسع بعضهم فأضاف : (أَخٌ، أُخْتٌ) (عَمٌّ ، عَمَةٌ) (خَالٌ، خَالَةٌ).

3 - **الكنية واثنوغرافيا التواصل**: تبنى اثنوغرافيا الاتصال(Ethnography of communication): على دراسة واقعة كلامية بعينها في وضع اجتماعي خاص؛ إنها تدرس نماذج من السلوك الاتصالي ملحوظة أو مدونة، والكلام يتمركز أو يتحدد نظاميا داخل سياقه الثقافي الاجتماعي (socioculture context)؛ ذلك جانب مما كان قد دعا إليه ديل هايمس Dell Hymes(1962) في دراسة الوقائع الكلامية وعمل على التأسيس له في أبحاثه اللسانية الاجتماعية) ([1])؛ والتي فتحت الباب واسعا أمام النظريات التي تشتغل على سيمياء المواقف الاجتماعية؛ ولأن الكنية علامة لغوية تسجل حضورها في الواقعة الكلامية بوصفها آلية سيميولوجية للتواصل في المجتمع العربي؛ تجعلنا نتساءل عن كيفية نشأة هذه العلامة اللغوية في التخاطب العربي؟، وهل هناك مؤلفات تأصيلية وتأسيسة لهذه الظاهرة التواصلية في التفاعل صوتا وتركيبا ومعجما ودلالة وتداولا ؟، وتبعا لنهج الاثنوغرافي في رصد الوقائع الاتصالية الثقافية في المجتمعات الإنسانية؛ نطرح التساؤل: هل هناك موقف خطابي رمزي معين مثلا أسس لهذه العلامة في الاستعمال؟.

إن الاتجاه إلى البحث في أسفار التراث العربي التي عكفت على رصد ظاهرة الكنى في التخاطب العربي ربما تكون الكفيلة في بيان بعض جوانب هذه المسألة؛ لتكشف لنا عن طريقة تفكير الإنسان العربي القديم في التفاعل الاجتماعي مع أخيه بالدرجة الأولى، ومع غيره من أبناء الأمم الأخرى؛ وفي الرمزية التي يلجأ إليها في بناء حلقات التواصل التخاطبي، وفي القواعد والأسس التي تضبط هذا التفاعل سواء من منظور الدين أو العرف.

البحث البسيط في مصنفات اللغويين العرب القدامى وغيرهم؛ يبين أنهم ما أغفلوا هذا الجانب؛ بل أعطوه كامل عنايتهم؛ وقد خصوا له مؤلفات كثيرة ([*])؛ وأبوابا وفصولا من مؤلفاتهم، التي تظهر وظيفية هذه

([1]) - ينظر: العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، محمد العبد، مكتبة الآداب، ط 04، 2010، القاهرة، مصر، ص45

([*]) - من أشهر هذه المؤلفات التي تناولت كنى الأعلام وأصلّت له في الثقافة العربية:

- الكنى لابن الكلبي: هشام بن محمد بن السائب بن بشر، المتوفى سنة أربع ومائتين.
- كنى الأشراف: للهيثم بن عدي، المتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين.
- كتاب الكنى: للإمام أحمد بن حنبل، المتوفى سنة إحدى وأربعين ومائتين.
- كتاب الكنى: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة 256 هـ .
- كتاب الكنى والأسماء : للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، المتوفى سنة 261 هـ عدا كتب المتأخرين.

الإشارة اللغوية في الاستعمال العام، وللدارس أن يراجع بعض هذه المؤلفات ليدرك حرصهم الشديد على معرفة ضوابط استعمال الكنى والمناداة بها فيما بينهم؛ ففي مؤلف واحد نقرأ هذه الأبواب([1]) :

- بابُ كُنيةِ الرجل بِأَكبرِ أولادِه
- بابُ كُنية الرجلِ الذي بغيرِ أولاد
- بابُ النّهي عنِ التَّكَنِّي بأبي القَاسِم
- باب جَوَاز تكنيةِ الكَافِر والمبتدع والفاسق
- باب جواز تكنية الرجل بأبي فُلانة وأبي فُلان والمرأة بأُمّ فلان وأُمّ فُلانة،

والملاحظ بالنسبة لهذه الأبواب أنها حددت الأطر العامة لاستعمال هذه الإشارة اللغوية في الواقع اللغوي، وبينت بعض الأساسيات التي يجب أن يراعيها المكنى، وما يجوز له مما لا يجوز.

وحتى تتضح لنا سعة رؤيتهم للموضوع وآفاق نظرهم فيه، وننظر في مؤلف آخر فنقرأ هذه الأبواب([2]):

- أنَّ الأسماء إنما وضعت في أول الأمر دلالة على مسمياتها.
- أصل أسماء الأعلام أن تكون لمن يعقل، لأنهم الذين يخبر عنهم ويخاطبون، ثم إنهم أطلقوها على غير العقلاء من الحيوان والجماد مجازاً واتساعاً .
- إطلاق الكنية إنما جيء به لاحترام المكْنِيّ بها وإكرامه وتعظيمه كيلا يصرح في الخطاب باسمه.
- في الأسماء المترادفة على مسمى واحد من المسميات .
- أصل الكنية أن تكون بالأولاد تعيَّنَ أن يكون بالذين ولدوهم، فمن لم يكن له ولد ابن وكان له بنت كنوه بها، ومن لم يكن له ابن أو بنت كنوه بأقرب الناس إليه.
- مجرى العرب في الأسماء والكنى على قسمين معتاد ونادر.
- في ما أضيف من الأبناء والبنات لغير الأناسي .

ثم إنهم نظروا في أسماء الناس فذهبوا إلى (أن الناس أقسام، منهم من اسمه كنيته، أو لا يعرف بغير كنية، ومنهم من اشتهر بالكنية وخفي اسمه، ومنهم بالضد من اشتهر باسمه أو نسبه وخفيت كنيته، ومنهم من شهر بالأمرين، ومنهم من لا يعرف سواء سمي أو كني)([3]).

هذه الأبواب يمكن القول أنها هي التي يعول عليها في وصف استعمال الكنى ضمن بنية المحادثة وما يحكمها من شروط وما يرتبط بها من عناصر مقامية؛ مثل طبيعة المتخاطبين، وجنسهم، وعمرهم، وما إلى ذلك عناصر؛ (وهي الجوانب التي تبرز القيمة الأساسية لاثنوغرافية الكلام في الإحاطة بكافة مظاهر الحدث الكلامي عندما يتكلم شخصان أو أكثر مع بعضهم بعضا) ([4]).

([1]) - الأذكار، للإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف، الدار المصرية اللبنانية، د.ط، 1988،القاهرة، مصر من ص 372 إلى ص 376

([2]) - المرصع في الأباء والأمهات والبَنِين والبَنات والأَذواءِ والذوات، مجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير، تح: إبراهيم السامرائي، دار الجيل، ط1، 1991، بيروت، لبنان، من ص 22 إلى ص35

([1]) - المقتنى في سرد الكنى، الإمام الذهبي، تح: محمد الصالح عبد العزيز المراد، منشورات الجامعة الإسلامية، د.ط، 1408 هـ، المدينة المنورة، السعودية، ج01، ص 47

([2]) - علم الاجتماع اللغوي، برنار صبولسكي، تر: عبد القادر ستقادي، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 2010، الجزائر، ص51

وقد استوقفني جانب مهم وجدت فيه السند في أصل استعمال الكنى عند العرب؛ مما اعتقد أنه كاشف لإثنوغرافيا التواصل بالكنى في المجتمع العربي؛ هي حكاية طريفة رواها لنا اللغوي الأديب مجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير (ت 606 ه). إذ قال:(لقد بلغني أن سبب الكنى في العرب؛ كان: أنَّ ملكاً من ملوكِهُمْ الأول وَلَدَ له وَلَدٌ توسّم فيه أمارات النَّجابة فشغف به، فلما نشأ وترعرع وصلح لأن يؤدَّب أدب الملوك، أحب أن يفرد له موضعا بعيدا من العمارة يكون فيه مقيما يتخلق أخلاق مؤدّبيه، ولا يعاشر من يضيع عليه بعض زمانه، فبنى له في البرية منزلا ونقله إليه، ورتب له من يؤدبه بأنواع الآداب العلمية والملكية، وأقام له ما يحتاج من أمر دنياه، ثم أضاف إليه من هو من أقرانه وأضرابه من أولاد بني عمه وأمرائه ليواسوه ويتأدبوا بآدابه بموافقتهم له عليه .

وكان الملك على رأس كل سنة يمضي إلى ولده ، ويستصحب معه من أصحابه من له عند ولده ولد، ليبصروا أولادهم، فكانوا معه إذا وصلوا إليهم سأل: ابن الملك عن أولئك الذين جاءوا مع أبيه ليعرفهم بأعيانهم، فيقال له: « **هذا أبو فلان، وهذا أبو فلان** » يعنون آباء الصبيان الذين هم عنده، **فكان يعرفهم بإضافتهم إلى أبنائهم**؛ فمن هنالك ظهرت الكنى في العرب، ثم انتشرت حتى صاروا يكنون كل إنسان باسم ابنه) ([1]).

الكنى بهذه الصورة واقعة اتصالية ترتبط بالسلوك اللغوي والعادات الاتصالية في جماعة لغوية بعينها؛ وهو هنا المجتمع العربي، وإذا كانت وظيفة الاثنوغرافي هو تحليل مثل هذه العادات؛ فإن هذه القصة تظهر ارتباط السلوك اللغوي الثقافي بالسلوك الاجتماعي العام ضمن نسق رمزي تفاعلي، فهذه البنية اللغوية: **أبو فلان، وأبو فلانة، أو أم فلان وأم فلانة**، أصبحت أداة معرفة لهوية الشخص ومظهرا للتآلف الاجتماعي والتعارف بين هؤلاء الأفراد، لتتحول من قصديتها الفردية -الاستخبار عن هوية أشخاص في حادثة معينة - إلى قصدية جماعية تستعمل في مختلف المواقف التواصلية، وعلامة تؤكد روابط التلاحم الاجتماعي (إن مثل هذه الحدث الكلامي مواقف ينبغي لها أن تدرج على أنها سياقات في تبليغ قوانين التكلم، والمتكلمون يشتركون في المعرفة بحالة المنطوقات، وأوضاعها بما هي أحداث معتمدين في ذلك على نظام مستقل من المؤشرات التي تقدمها المستويات المتنوعة لكل من النحو والأوضاع الاجتماعية)([2]).

4 - سيمياء الكنية في التواصل : لا يخفى أن العلامة تستخدم (من أجل نقل معلومات، ومن أجل قول شيء ما، أو الإشارة إلى شيء ما يعرفه شخص ما يريد أن يشاطره الآخر هذه المعرفة؛ إنها بذلك جزء من سيرورة تواصلية تصدق على مجموعة كبيرة من الوقائع التفاعلية) ([3]). وإذا نظرنا من هذا المنطلق لخطاب أسماء أعلام الأشخاص بوصفها إشاريات تفاعلية؛ فما الذي يمكن أن تقوله الكنية بوصفها علامة لغوية في إطار سيميولوجيا التواصل؟، وقبل ذلك لنا أن نتساءل عن المعلومات التي يمكن أن تنقلها ؟، وبشكل أوضح:

([3]) - المرصع في الأباء وَالأُمَّهات وَالبَنِين والبَنات والأَذواء والذّوات، ابن الأثير، مصدر سابق، ص 36

([1]) - العبارة والإشارة، محمد العبد، مرجع سابق، ص 55

([2]) - ينظر: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ، امبرتو ايكو، مرجع سابق، ص 47

هل للكنية حضور رمزي في التفاعل الاجتماعي؟، أم أنها مجرد إشارة لغوية يتسمى بها أعلام الأشخاص في المجتمع العربي لا لقصد أو فائدة تذكر؟، وبشكل عام كيف تبدو السيرورة التواصلية للكنية؟.

سأحاول مقاربة هذه الأسئلة بما توفر من مقولات تفسيرية في التراث العربي أكبت على تحليل الكنية، بغرض بيان مقاصد استعمالها والتفاعل بها، والواقع أن هذه الآراء لم تنحصر في حقل واحد بل امتدت لتشمل العلوم العربية في صورتها العامة - عبر التخصصي-، لأن هذه الظاهرة العلامية الرمزية لا تتعلق بفرد أو فئة خاصة في التخاطب مثل ألقاب الوظائف والعلوم وغيرها، ولكنها إشارة خطابية تتدخل في سياق كل فعل تخاطبي بين متكلمين.

يستوقفنا أبو عثمان الجاحظ (ت 250 ه) بمقولة تفسيرية لتكنية البنات عند العرب؛ إذ يقول:(وربما كان اسم الجارية غُلَيِّم أو صُبَيَّة أو ما أشبه ذلك، فإذا صارت كهلة جَزْلة، وعجوزاً شَهْلة، وحَملتِ اللحم وتراكمَ عليها الشحمُ، وصار بنوها رجالاً وبناتها نساءً، فما أقبح حينئذٍ أن يقالَ لها: يا غليم كيف أصبحت؟ ويا صبية كيف أمسيت؟. ولأمر ما كَنَّتِ العربُ البناتِ، فقالوا: فعلتْ أم الفضل، وقالت أم عمرو، وذهبت أم حكيم. نعم حتى دعاهم ذلك إلى التقدم في تلك الكنى)([1]).

يقدم الجاحظ من خلال هذه المقولة تفسيرا لعلاقة التكافؤ بين الكنية بالاسم في الوظيفة الإشارية؛ فالاسم تنادى به في مقتبل العمر، والكنية تصح للمرأة إذا ما تقدم بها العمر، وصارت أما للبنين والبنات فلا يصح أن تنادى باسمه الذي كانت تعرف به وهي صبية، والذي ربما حمل معنى التلطف والتملح؛ ولأن اسمها يلزمها، فقد رُفِع الحرجُ بمناداتها بالكنية بدلا منه، وبهذه الطريقة تصبح الكنية؛ علامة سيميائية للمرأة دالةً على الوقار والتأدب في مخاطبتها في بعض المواقف الاجتماعية.

وانطلاقا من التصور نفسه يمكن النظر إلى ما جاء في كتاب "الأذكار" للإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف(ت 676 ه) في بابُ جوازِ الكنى واستحباب مخاطبةِ أَهْلِ الفَضْل بها؛ إذ يقول:(هذا الباب أشهر من أن نذكر فيه شيئاً منقولاً، فإن دلائله يشترك فيها الخواصّ والعوامّ، والأدب أن يُخاطب أهل الفضل ومن قاربهم بالكنية، وكذلك إنْ كتبَ إليه رسالة، وكذا إن رَوى عنه روايةً، فيُقال: حدّثنا الشيخ أو الإمام أبو فلان، فلان بن فلان وما أشبهه،،،)([2]).

تظهر لنا هذه المقولة القصدية الجماعية في استخدام هذه العلامة في التفاعل الاجتماعي، وترسم خطا أفقيا لمجال استعمالها في التواصل يمتد من الخاصة من القوم إلى عمومهم في درجة من التساوي؛ فليست الكنية حكرا على أناس دون غيرهم.؛ لكنها من زاوية أخرى تؤكد المعنى السابق بوصف الكنية أداة تأدب واحترام في التواصل مع أهل العلم والفضل وفي مخاطبتهم؛ وذلك يؤشر عن البعد السيميائي التداولي لهذه العلامة في فهم أسلافنا؛ جاء في كتاب "المرصع في الأباء وَالأُمَّهات وَالبَنِين والبَنات والأَذواء والذّوات" أنه: (إنَّما جيءَ بالكُنية لاحترام المُكنَّى بها، وإكرامه وتعظيمه كيلا يُصرَّحَ في الخطاب باسمه، ومنه قول الشاعر(من بحر البسيط):

([1]) - البيان والتبيين، الجاحظ، تح: علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، ط01، 2002، بيروت، لبنان، ج01، ص137

([2]) - الأذكار للإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف، مرجع سابق، ص 372

أُكْنِيْهِ حِينَ أُنادِيهِ لأُكرِمَهُ *** ولا أُلقِّبَهُ، والسَوءةُ اللَقَبا

وهذا مختصٌّ بالإنسان دون غيره وهو الأصل) ([1]).

فالكنية في نظرهم رمز لإكرام الشخص واحترامه، غير أن التساؤل يظل قائما عن أبعاد استعمال الكنية؛ هل يعني ما تقدم أن مجال استعمالها يقتصر على فئة أهل العلم والأدب دون سواهم ؟.

في هذا الإطار استحضر قصة من التراث العربي؛ تؤكد المجال الذي تشتغل فيه هذه العلامة اللغوية في السياق الاجتماعي، رواها لنا أبو عثمان الجاحظ (ت 250 هـ) فقال: (كانَ عندَنا حارسٌ يُكْنى أَبا خُزيمةَ ([*]) فقلتُ يوماً وقد خَطَرَ على بالي: كيفَ اكْتَنى هذا العِلْجُ الأَلْكَنُ بأبي خُزيمةَ؟، ثم رأَيتُهُ فقلتُ لهُ: خَبِّرْني عنك، أَكانَ أبوك يسمى خُزيمة ؟، قال: لا. قلت: فجدك أو عمك أو خالك؟، قال: لا. قلت : فلك ابن يسمى خُزيمةُ؟، قال: لا. قلت: فكان لك مولى يسمى خُزيمةُ؟، قال: لا. قلت: فكان في قريتك رجل صالح أو فقيه يسمى خُزيمةُ؟، قال: لا. قلت: فلم اكتنيت بأبي خزيمة وأنت عِلْجٌ أَلْكَنُ، وأنت فقير، وأنت حارس ؟، قال: هكذا اشتهيت. قلت : فلأي شيء اشتهيت هذه الكنية من بين جميع الكنى ؟ قال : ما يدريني ؟ قلت: فتبيعها الساعة بدينار وتكتني بأي كنية شئت؟ قال: لا والله، ولا بالدنيا وما فيها) ([2]).

لقد نظر الجاحظ بعين اللساني الاجتماعي الدقيق الملاحظة الذي لا تخدعه بصيرته في إدراك قيمة الكنية والتفاعل بها؛ وفي عدم الإغفال عن مواطن الحسن في استعمالها في التواصل العربي؛ ولقد كان السؤال هو بداية فك خيوط هذه القضية التي أضنت تفكيره؛ وربما حصل عن مبتغاه في الإجابة عن ذلك؛ وقد ظل يستفسر محدثه- الذي يبدو أنه من فئة اجتماعية بسيطة، لكنه حمل كنية لفتت انتباه الجاحظ وربما راقته- والرجل يستزيده بعفوية المقتنع بوسمه المتعلق به، حتى إذا وصل الأمر إلى حد التنازل عن كنيته أنكر ذلك ولم يسلم له رغم جهله بسبب اختياره لها !!.

وقد كشف الجاحظ بذلك عن مراتب التكني في المجتمع العربي؛ فالكنية تؤخذ بداية من الأب، وتتدرج إلى الجد، أو العم، أو الخال، الابن، المولى،.، لتتوسع إلى حد الرجل الصالح - الولي- في القرية أو المدينة - مثلما كان شائعا في المجتمع الجزائري في باب التسمية والتكنية في العقود الماضية-، لكن هذه السلمية في أخذ الكنية؛ قد تعكس في صورة تضاد من جهة أخرى([3])؛ بحسب ما نتفاعل به رمزيا في منطق الدوائر الاجتماعية المحيطة بنا (الأصول، الفروع، الأقارب، المجتمع).

([3]) - المرصع، ابن الأثير، مصدر سابق، ص 35

([*]) - خُزَيْمةُ : تصغير (خَازِم) وهو الذي يسيطر على الأمور.

([2]) - الحيوان، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، ط02، 1965، القاهرة، مصر، ج03، ص28.

([3]) - أي أن الكنية تبدأ من المجتمع ثم تتدرج نزولا إلى الأصول؛ يمكن أن نلاحظ هذا في الزمن الماضي في التسمية والتكنية بالولي الصالح أو العالم الجليل أملا وتفاؤلا في أن ينال المسمى والمكنى رتبته ومنزلته الدينية والاجتماعية، وربما لا يزال هذا العرف اللغوي الاجتماعي سائدا إلى الآن .

وتحليل الجاحظ لهذه العلامة اللغوية (أبو خُزيمةَ) قائم على **مبدأ المحايثة** التي (يقصد بها البحث في الشروط الداخلية المتحكمة في تكوين الدلالة، وعليه فالمعنى يجب أن ينظر إليه على أنه أثر ناتج عن شبكة من العلاقات الرابطة بين العناصر،،،)([1])؛ أي البحث في علاقات التماثل والتشابه للدال اللغوي ومدلوله، ومن جانب آخر علاقات التناظر والتقابل بين المسمى ومجاله الاجتماعي، وهذا للكشف عن الدلالات.

وبالأسلوب الساخر الهادف يسأل الجاحظ محدثه: هل يمكن أن يبيعه كنيته هذا الوسم الإشاري الذي يحمله؛ ومعطى المعنوي الذي قد يبدو بسيطا لكنه في واقع الحال له رمزيته التي تضفي عليه قدسيته الخالدة في حياتنا التي يرتبط بها وجودنا، ولأنها تقوم مقام الاسم، فهل يمكن أن يقبل أحد أن يبيع اسمه؟؟. الإجابة المنطقية هي الرفض ولو بمال الدنيا حتى ولو كان حامله يعاني شظف العيش.

ولأننا ننظر في هذا الموقف إلى الكنى على أنها خطاب لغوي سيميائي له مقاصده في التفاعل؛ واللغة كما نعلم (وسط رموزي شديد الحساسية لعلاقة الذات بالعالم، كما أن كل لغة تحمل فيما وراء أنظمتها خطابا فلسفيا خاصا بها لا يفرط في شيء ولا ينفرط من بين يديه شيء وتمثله العلاقات القائمة بين عناصر النظام اللغوي، صغرت أو كبرت هذه العناصر) ([2]). فقد جاء في دلالات خطاب الكُنْيَةُ ومقاصدها في الاستعمال أنها على ثلاثة أوجه:

- أحدها أَن يُكْنَى عن الشيء الذي يُستفحش ذكره
- والثاني أَن يُكْنى الرجل باسم توقيراً وتعظيماً
- والثالث أَن تقوم الكُنْية مَقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه كأَبي لهب اسمه عبد العُزَّى عرف بكُنيته فسماه الله بها([3]).

وهو ما ذهب إليه المبرد أيضا بقوله: (التفخيم والتعظيمُ، منه اشتقت الكنيةُ وهو أن يعظم الرجل أن يدعى باسمه، وقد وقعت في الكلام على ضربين:

1 - في الصبيّ على جهة التفاؤل؛ بأن يكون له ولدٌ ويدعى ولده كنايةً عن اسمه،

2 - وفي الكبير أن ينادى باسم ولده صيانةً لاسمهِ؛ وإنما يقال: كنيَ عن كذا بكذا، أي تركَ كذا إلى كذا، لبعض ما ذكرنا) ([4]).

5 - وظائف الكنى في التواصل:يرتبط استخدام مصطلح الوظيفة بالدور الذي تؤديه البنية اللغوية في الاستعمال؛ ولعل الوظيفة الأولية للغة هي التأثير على المخاطب من خلال ثنائية الأوامر والنواهي وغيرهما، ولكن هذا التأثير قد يكون مقصودا وقد لا يكون مقصودا. ويستخدم في ذلك مجموعة من الأمارات والمعينات Indications التي يمكن تقسيمها إلى ثلاث([5]):

([1]) - التواصل نظريات وتطبيقات، إشراف: محمد عابد الجابري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 01، 2010، بيروت، لبنان، ص 56

([2]) - سيميوطيقيا التشبيه من البلاغة إلى الشعرية، محمد فكري الجزار، نفرو للنشر والتوزيع، ط1، 2007، الجيزة، مصر، ص ص 123، 124

([3]) - ينظر: المرصع لابن الأثير، مصدر سابق، ص 35

([1]) - ينظر: الكامل في اللغة والأدب، المبرد، عالم الكتب د.ط.ت، القاهرة، مصر، مج 02، ص150

([2]) - ينظر: التواصل نظريات وتطبيقات، مرجع سابق، ص57

أ - الأمارات العفوية : وهي وقائع ذات قصد مغاير للإشارة تحمل إبلاغا عفويا وطبيعيا مثال : لون السماء الذي يشير بالنسبة لصياد السمك إلى حالة البحر يوم غد.

ب - الأمارات العفوية المغلوطة: التي تريد أن تخفي الدلالات التواصلية للغة كأن يستعمل متكلم ما لكنة لغوية ينتحل من خلالها شخصية أجنبية ليوهمنا بأنه غريب عن البلد.

ج - الأمارات القصدية: التي تهدف إلى تبليغ إرسالية مثل: علامات المرور، وتسمى هذه الأمارات القصدية أيضا بالعلامات. وكل خطاب لغوي وغير لغوي يتجاوز الدلالة إلى الإبلاغ والقصدية الوظيفية، يمكننا إدراجه ضمن سيميولوجيا التواصل. ([1]).

إن هذه الإمارات هي التي تعبر عن القصد التواصلي في التبليغ؛ والكنى في الاستعمال العربي أبنية لغوية لها قصديتها التواصلية وأدوارها الرمزية في التفاعل الاجتماعي، هذا ما يكشفه توظيفها في مختلف المواقف الكلامية؛ وللتدليل عن هذا البعد في استعمال الكنى نقف عند هذا الموقف الكلامي؛ وهو عبارة عن جزء من محادثة من التراث العربي؛ إذ (يروى أن يهوديا دعا لدى أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فلما أمرهما بالجلوس مخاطبا سيدنا عليا - كرم الله وجهه- بقوله : يا أبا الحسين واليهودي باسمه. التفت إليه سيدنا علي وقال له: ((ما أنصفت يا أمير المؤمنين)) فقال له: ألأني سويت بينكما في الجلوس؟ قال: لا ولكن لأنك لم تسو بيننا في الخطاب؛ فلقد كنيتني ولم تخاطب خصمي إلا باسمه.)([2]).

يظهر لنا هذا الموقف الكلامي ما يمكن أن تؤديه الكنى من أدوار في التواصل مع الآخرين، ومع أن استعمال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه للكنية كان عفويا، إلا أن الإمام علي - كرم الله وجهه- تصور أن مخاطبته بكنيته قد يفهم منها اليهودي تفضيل وتبجيل عليه؛ أي تتحول كنيته في هذا الموقف الكلامي من أمارة عفوية إلى أمارة قصدية تؤثر في سير الحكم والادعاء.

وللكنى في تاريخنا الجزائري المعاصر - ولا سيما أثناء الثورة التحريرية- وظائف سيميولوجيا في التواصل؛ فالكنية استعمالها المجاهد ليتخفى من ورائها؛ وكذا المناضل في المدن والأرياف، وقد لجأ كثير من قادة الثورة التحريرية إلى هذا النهج؛ ومن ذلك ("هواري([*]) بومدين" وهو اسم الرئيس الجزائري الراحل وهو يجمع بين النقل والتركيب معاً. وذلك أن الاسم الحقيقي له هو "محمد" وفي ثورة التحرير تولى قيادة الجهة الغربية للوطن، فتسمى بهذا الاسم.

وكان من عادة الثوار، وفي بداية الثورة بخاصة، تقمص أسماء ليست لهم، وأحياناً تكون غير حقيقية، وذلك اتقاء لشر فرنسا من الانتقام من عائلاتهم في حالة ما إذا ألقي القبض على ثائر وقيل له مع من كنت وذكر اسم من كان معهم تحت التعذيب.

([3]) - مرجع نفسه ، ص 58

([1]) - الكنى عند المغاربة، المجلة الإسلامية، تصدر عن رابطة الجامعات الإسلامية، السنة 08، العدد 16، 1985، الرباط، المغرب. ص 147

([*]) - يبدو هذا الاسم منسوبا؛ وهو فيما اعتقد منسوبا إلى هوارة؛ وهوارة اسم قبيلة أمازيغية معروفة في العصر القديم له بطون كثيرة منتشرة في كامل أرجاء الشمال الإفريقي. للتوسع حول هذه القبيلة ينظر: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك بن محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط03، 1989، الجزائر، ج01، ص103.

لقد اختار "محمد بوخروبة" اسم "هواري بومدين" وهما اسمان لوليين صالحين من أولياء الله المدفونين في غرب البلاد وهما: "سيدي الهواري" بوهران و"سيدي بومدين" بتلمسان. واسمه "هواري بومدين" كناية عن توليته قيادة ولايتي وهران وتلمسان. والخلفية الدلالية هنا في قيمة الاختيار التي تتعلق بولي الله، وما له في نفس السامع من أثر وتأثير.) ([1]). وقد سبق القول في التقديم أن من معاني الكنية؛ الاسم الذي يذكر في الحروب وغيرها ليعرف بها صاحبها. ونلاحظ من خلال هذا المثال كيف أدت الكنية وظائفها الرمزية في زمن حرب الثورة التحريرية الجزائرية؛ وبالنسبة لهذا القائد الثوري فقد استطاع التخفي باسمه الحقيقي وراء هذه الكنية التي ترتبط في المخيال الاجتماعي بوليين صالحين فإذا ذكرا أمام أي مخاطب أبدى لهما التجلة والاحترام؛ وربما لهذا السبب تحديدا اختارها في ذلك الوقت إشارة لغوية لنفسه حتى يؤدي الحربية دون إدراك لشخصيته الحقيقية؛ وقد ارتبطت به هذه الكنية ولم تفارق ظله في حياته وبعد مماته؛ بل ربما قليل هم الذين يعرفون تسميته الحقيقية"محمد بوخروبة".

لكن التساؤل الذي ربما يطرح في هذا السياق هو: عن الوظائف الرمزية للكنى على الصعيد الفردي؟، فما الذي يعنيه أن أكنى بهذه الكنية أو غيرها ؟، وما الذي يمكن أن تعنيه كنية الأب أو الابن مثلا ؟، وما الذي يمكن أن نتصوره من آثار لاستعمال الكنى في المحيط الاجتماعي؟ .

تذهب الباحثة صفية مطهري (إلى أن وظيفة الكنية في المجمل تذكر أو توقع أو هما معاً، فيقال للرجل أبو فلان قبل أن يتزوج توقعاً وتفاؤلاً على ما أسلفت. وقد لا نجد عربياً لا يحمل كنية ولا ينتسب إلى غيره، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة فهو المصطفى المختار، كان يقول أنا ابن عبد الله وأبو القاسم؛ والكنية تعني فيما تعنيه أصلاً، التخلي عن الأنانية إلى الجمعية، ويستقى من هذا أن الكنية هي مفهوم الرقي المجتمعي) ([2]). فالذي يتكنى هو مختار بين أمرين إما أن يتنازل عن ذاتيته لأصوله فيقال له ابن فلان، وإما أن يتنازل عن ذاتيته لفروعه ويقال له حينها أبو فلان. فالكنية تحمل بعدين، حاضراً حقيقياً، مع ماضٍ أو مستقبل. وقد يغيّر الرجل كنيته بتغيير حاله فأبو بكر الصديق رضي الله عنه اسمه الأصلي هو عبد الله بن أبي قحافة، والقحاف السيل الجارف، فهو يلتقي مع جعفر النهر الصغير، في عنصري الماء والقوة. ومن هنا يمكننا أن نعرف أصل الحياة العربية وطابعها من معرفة خلفيات أسماء وكنى أهلها([3]).

6- **الكنية في الاستعمال الإشاري الجزائري:** تعد فترة الاحتلال الفرنسي لبلادنا حلقة مؤثرة في مسار الجزائر؛ ولعل أهم ما ميز هذه الفترة الحاسمة من تاريخنا هو محاولة الاستعمار الفرنسي طمس معالم الهوية الحضارية للمجتمع الجزائري وتحطيم كيانه الحضاري؛ فلم تكن الإدارة الاستدمارية تهدف إلى بسط نفوذها المادي على الأرض فحسب، بل مارست تأثيرها في الواقع اللغوي الجزائري من خلال سياسيتها اللغوية المغرضة، فقد سعت إلى محاولة هيمنتها المعنوية على كيان الإنسان الجزائري؛ فعملت على التحكم في دقائق هويته الشخصية؛ في اسمه ولقبه وكنيته، ولقد كان الإنسان الجزائري يعتمد في التعريف بهويته على نظام

([2]) - الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، صفية مطهري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط، 2003 دمشق، سوريا، ص143

([2]) - الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، صفية مطهري، المرجع نفسه، ص 135

([3]) - ينظر: المرجع نفسه، ص136

التسمية الثلاثية (الاسم والكنية واللقب - الذي يكون عادة ما عبارة عن نسبه المكاني-)، وهو ما يمكن أن نجده في مثل هذه التسمية للكاتب الجزائري من القرن السادس الهجري "**أبو القاسم عبد الرحمان القالمي**" فتسميته تتكون من ثلاثة عناصر هي:

- الكنية: **أبو القاسم**
- الاسم: **عبد الرحمان**
- النسب المكاني أو اللقب: **القالمي**(*).

وقد ظلت هذه الطريقة في التسمية سائدة في المجتمع الجزائري إلى زمن مجيء الاستدمار الفرنسي، فمارس تأثيره بتفتيت هذا النظام الثلاثي؛ ويظهر هذا التأثير بالخصوص من خلال قوانين الحالة المدنية([1])؛ والتي جاءت تحت مسمى تنظيم المجتمع والحفاظ على حقوق الناس وأملاكهم وأداء واجباتهم؛ فأي حفظ للحقوق مع ضياع ملكية كنية أو لقب بهي أو اسم حسن مدى الحياة بين الناس !!. وما بقي من كنى أصابها تصحيف وتحريف في بنيتها، وتشويه في دلالاتها، ربما تحول كثير منها إلى ألقاب أسرية لعائلات جزائرية في تلك الفترة؛ برضى كبير العائلة وممثلها أو بتدوينه غيابيا - كما جرت العادة في أغلب الأحوال-، ويكفي أن تنظر في الألقاب التي تبدأ بصيغ "بو" أو " بن " أو "بل" فكلها فيها تصرف في صورة الكنية الأصلية.

إن وقوع الكنية - وبقية عناصر التسمية الجزائرية القديمة - تحت التصرف الإداري الفرنسي قد أفقدها بعض من مكوناتها البنيوية حيث تم إسقاط وحذف في كثير من الكنيات صوت "أ" ليصبح : " أبو بكر : بو بكر" و"أبو فلجة : بوفلجة". و "أبو فاتح : بو فاتح" ، أبو الكرم، بولكرم، أبو خضرة، بوخضرة،،،.([2]).

مع الإشارة إلى أنه قد حافظت بعض هذه الكنيات على صوت "أ" في مقدمتها؛ ولعل أهم ظاهرة لغوية نحوية تثير الانتباه في حديثنا عن الكنية ومسارها اللغوي والدلالي والرمزي في الاستعمال الجزائري. أنها فقدت حيوتها وحركيتها اللغوية الإعرابية التي ألهمتها إياها اللغة العربية لتتحول إلى بنية لغوية ثابتة وجامدة. كأن تكون الكنية : "أبو بكر" فإن أصلها غير ثابت، فهي تظهر و تكتسي صيغ نحوية مختلفة باختلاف السياق الكلامي مثل قولنا :

- جاء أبو بكر أبو بكر←
- رأيت أبا بكر أبا بكر ←
- التقيت بأبي بكر أبي بكر←

غير أن الإدارة الرسمية والحالة المدنية المستمدة أصولها النحوية و المعرفية من اللغة الفرنسية أخضعت الألقاب و الكنيات إلى قواعد هذه اللغة وبالتالي أفقدتها كثير من طابعها اللغوي، النحوي، الرمزي، الصوتي

(*)- ينظر حول شخصية هذا الكاتب ورسائله: أبو القاسم عبد الرحمان القالمي؛ كاتب الدولة الموحدية؛ حياته وآثاره، إسماعيل سامعي، دار الفجر، ط1، 2006، قسنطينة، الجزائر.

([1]) - ينظر: الألقاب العائلية في الجزائر من خلال قانون الحالة المدنية أواخر القرن التاسع عشر (1870 - 1900) قسنطينة نموذجا، ياسمينة زمولي، دار البصائر للتوزيع والنشر، ط1، 2007، حسين داي، الجزائر، ص24

([1]) - ينظر: الاسم دلالته ومرجعيته مقاربة أنثروبولوجية، سعيدي محمد، تنسيق: فريد بن رمضان، منشورات مركز البحث في الانثربولوجية الاجتماعية والثقافيةCRASC، د.ط، 2005، وهران، الجزائر، ص19

والصوتي Phonétique et Phonologique. فأصبحت الكنية – الاسم "أبو بكر" على هذه الصيغة في كل الحالات الكلامية([1]). وهو ما يمكن ملاحظته في هذا التعبير اللهجي الجزائري؛ إذ تظل صيغة الكنية ملازمة لصورة واحدة لا تتبدل في نحو هذه الصورة:

- جاء بوبكر ⟵ بوبكر
- رأيت بوبكر ⟵ بوبكر
- مررت ببوبكر⟵بوبكر

بعد الاستقلال لم يعد لهذه العلامة اللغوية الإشارية أي استعمال سواء في الوثائق الرسمية أو في الاستعمال العام بين الناس؛ وان وجدت فعلى صعيد النخبة المتعلمة وفي إطار ضيق، مثل استعمالها في الوسائل الإعلامية (بالأخص: الصحف، والإذاعة)؛ مما يعني أن الكنى قد فقدت جانبا كبيرا من حيويتها وفعاليتها في الاستعمال الإشاري في التواصل و التفاعل اليومي.فما الذي يعنيه من عدم ميل الجزائريين في زمننا الحاضر إلى استخدام الكنى مقرونة بأسمائهم؟ هل يتعلق ذلك بالميل إلى الاقتصاد اللغوي؟ أم هل ينم ذلك عن طبيعة الجزائري في المباشرة في الخطاب، وعدم الرغبة في الإخفاء والتستر في سياق التواصل والتفاعل في المواقف الكلامية ؟.

7 - **خاتمة**: الكنية باب رئيس لأسماء أعلام الأشخاص العربية؛ وإشارة لغوية شخصية عرف بها الأفراد داخل المجتمع العربي لها مقاصدها في الاستعمال؛ فالكنية - بالمفهوم السيميائي- علامة لغوية لها وجهان؛ وجه ظاهر هو عبارة عن تركيب إضافي بسيط، ووجه باطن فيه التستر، والإخفاء لمقاصد خطابية لها دلالاتها السيميائية في التواصل والتفاعل في السياق الاجتماعي.

إن الكنية علامة لغوية تسجل حضورها في الواقعة الكلامية بوصفها آلية سيميولوجية للتواصل في المجتمع العربي، مجالها الاستعمالي في التواصل يمتد من الخواص من القوم إلى العوام؛ فليست الكنية حكرا على أناس دون غيرهم.

إن ظاهرة الكنى في التخاطب العربي؛ تكشف لنا عن طريقة تفكير الإنسان العربي القديم في التفاعل الاجتماعي مع أخيه بالدرجة الأولى، ومع غيره من أبناء الأمم الأخرى - ممن لا يوافقه اللسان والاعتقاد-؛ وهو ما يعني من منظور اثنوغرافيا التواصل؛ أنها حدث كلامي ضمن الوقائع الاتصالية للإنسان العربي، فالكنى عنصر تأدب واحترام في بناء المحادثة وفي التخاطب العربي عموما.

والكنى لها بعدها الرمزي السيميائي في بناء حلقات التواصل التخاطبي، كما أن لها قواعدها وأسسها التي تضبطها في التفاعل إن منظور الدين أو العرف، وهو ما انكبت على توضيحه مصنفات اللغويين العرب القدامى وغيرها.

كما أن للكنى وظائف في التواصل وأدوار تؤديها توضحه مجموعة من الأمارات التي تعبر عن القصد التواصلي في التبليغ، ووظيفة الكنية في المجمل - باستخدام الصيغتين أبو أو ابن - تذكر أو توقع أو هما معاً، وهي بذلك تحمل بعدين، حاضراً حقيقياً، مع ماضٍ أو مستقبل.

([2]) - ينظر: الاسم دلالته ومرجعيته مقاربة أنثروبولوجية، سعيدي محمد، المرجع نفسه، ص20

وقد كان للكنية حضور في الاستعمال الإشاري الجزائري قبل فترة الاستدمار الفرنسي، غير أن الإدارة الاستدمارية الرسمية والحالة المدنية المستمدة أصولها النحوية والمعرفية من اللغة الفرنسية أخضعت الكنى إلى قواعد هذه اللغة؛ وبالتالي أفقدتها كثير من طابعها اللغوي، النحوي، الرمزي، الصوتي والصوتمي، وبعد الاستقلال لم يعد لهذه العلامة اللغوية الإشارية أي استعمال سواء في الوثائق الرسمية أو في الاستعمال العام بين الناس؛ وان وجدت ففي إطار ضيق.

8 - قائمة المصادر والمراجع :

1 - الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، تح: جودة مبروك، مكتبة الخانجي، ط1، 2002، القاهرة، مصر.

2 - شرح المفصل، ابن يعيش، دار الطباعة المنيرية، د.ت.ط، القاهرة، مصر

3 - العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، أمبرتو إيكو، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط02، 2010، الدار البيضاء، المغرب.

4 - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، د.ت.ط ، بيروت، لبنان

5 - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط04، 1990، بيروت، لبنان.

6 - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط 04، 2004، القاهرة، مصر

7 - شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تح: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط 01، 1993، المدينة المنورة، السعودية.

8 - التعريفات، الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان ناشرون، د.ط، 1985، بيروت، لبنان.

9 - النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط07، القاهرة، مصر.

10 - العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، محمد العبد، مكتبة الآداب، ط 04، 2010، القاهرة، مصر.

11 - الأذكار، للإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف، الدار المصرية اللبنانية، د.ط، 1988، القاهرة، مصر.

12 - المُرصع في الأباء والأُمهات والبَنِين والبَنات والأَذواء والذّوات، مجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير، تح: إبراهيم السامرائي، دار الجيل، ط1، 1991، بيروت، لبنان.

13 - المقتنى في سرد الكنى، الإمام الذهبي، تح: محمد الصالح عبد العزيز المراد، منشورات الجامعة الإسلامية، د.ط، 1408 هـ، المدينة المنورة، السعودية.

14 - علم الاجتماع اللغوي ، برنار صبولسكي، تر: عبد القادر ستقادي، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط ، 2010، الجزائر.

15 - الحيوان، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، ط02، 1965، القاهرة، مصر.

16 - التواصل نظريات وتطبيقات، سلسلة فكر ونقد ؛الكتاب الثالث، إشراف: محمد عابد الجابري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 01، 2010، بيروت، لبنان.

17 - سيميوطيقيا التشبيه من البلاغة إلى الشعرية، محمد فكري الجزار، نفرو للنشر والتوزيع، ط1، 2007، الجيزة، مصر.

18 - الكامل في اللغة والأدب، المبرد، عالم الكتب د.ط.ت، القاهرة، مصر.

19 - الألقاب العائلية في الجزائر من خلال قانون الحالة المدنية أواخر القرن التاسع عشر(1870 - 1900) قسنطينة نموذجا، ياسمينة زمولي، دار البصائر للتوزيع والنشر، ط1، 2007، حسين داي، الجزائر،

20 - الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، صفية مطهري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط، 2003 دمشق، سوريا

21 - الكنى عند المغاربة، المجلة الإسلامية، تصدر عن رابطة الجامعات الإسلامية، السنة 08، العدد 16، 1985، الرباط، المغرب

22 - الاسم دلالته ومرجعيته مقاربة أنثروبولوجية، سعيدي محمد، تنسيق: فريد بن رمضان، منشورات مركز البحث في الانثربولوجية الاجتماعية والثقافية CRASC، د.ط،2005، وهران، الجزائر.

23 - البيان والتبيين، الجاحظ، تح: علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، ط01، 2002، بيروت، لبنان